توظيف اللغة الصامتة في التعبير القرآني

الدكتور: خميس فزاع عمير

جامعة الانبار ـ الجمهورية العراقية

يستعرض هذا البحث الوظيفة الدلاليّة القرآنية للغة الصامتة بوصفها من أهم وسائل الاتصال والتفاهم بين بني البشر إذ إن الكلام ليس الوسيلة الوحيدة التي نعبر بها عن أنفسنا، فهناك ما يعرف باللغة الصامتة فكثيراً ما نتحرك ونعبر عما نقول بحركات وإيماءات معينة في أثناء الحديث مع الآخرين، وتلك الحركات سواء بالوجه أم باليدين أم بالجسم كله في طريقة الجلوس أو المشي تعد علما قائما يوازي المنطوق، بل يسبقه في سياقات اتصالية مختلفة، فحينما تتصل بالآخرين فإنك تتصرف بطريقتين للتعبير، هما الكلام والحركة، فمن الصعب أن يظل جسدك أو جسد مخاطبك ساكنا بل يشمل حركات الجسد وأعضائه، كالوجه والعين، والأطراف وكلها تمثل أدوات مساعدة توصل المعاني للآخرين وتؤثر فيهم بشكل كبير.

الكلمات المفتاحية: الوظيفة الدلالية؛ القرآن؛ التواصل؛ التفاهم؛ اللغة الصامتة؛ الصمت؛ النطق.

The Silent Language Employment in Qur'anic Expression

Abstract: The present research reviews Qur'anic semantic function for the silent language as being the most important means of communication among humans. Talking is not the only way that we express ourselves; rather, there is what is known as the silent language. We often move and express what we say through certain movements and gestures while talking with others. Those movements, whether using face, hands, the whole body, the way to sit or walk are regarded as a separate science equivalent to the spoken one or maybe preceding it in different communicative contexts. When you communicate with others, you act in two ways to express, i. e. speaking and movement. It is difficult to keep your body or your addressee's body static, but there are body movements, which represent aids to convey meanings to others and affect them significantly.

Keywords: Semantic function, Quran, Communication, Understanding, Silent language, Silence, Pronunciation

تقديم: لقد تطوَّرت الأبحاث العلمية تطوُّراً ملموساً؛ أوجب على الباحثين أن يجدِّدوا في طريقة بحثهم العلمي، وأن يطوِّروا مسيرته بما يتناسب والحياة البشريَّة الَّتي تتطوَّر، ولا تقف عند حدٍّ معين، وبناء على ذلك حظيت الأبحاث المتخصِّصة بمنظومات التَّواصل بأهمِّيَّة بالغة؛

تاريخ تسليم البحث: 24 ديسمبر 2016.

تاريخ قبول البحث: 14 ماي 2017.

تجلَّت في الدِّراسات الَّتي تمَّ إنجازها وتوجت بالإسهامات الأكثر أهمِّيَّة، الَّتي تعود إلى التَّعاون بين الدراستين النظرية والتطبيقية وهذا البحث يستعرض الوظيفة الدلاليّة للغة الصامتة بوصفها من أهم وسائل الاتصال والتفاهم بين بني البشر، كما يظهر البحث صور المعنى ببساطته وتعدّده، بجلائه وغموضه، بثباته وتحوله، وبقدرة تلك اللغة الصامتة في هذه الحالات جميعها على أداء وظيفتها بيسر وسهولة، وما يضاف إلى ذلك من معطيات المعجم والمقام، ومن الأمور المسلم بها أن النشاط الكلامي لا يتكوّن من مفردات فحسب، بل يتكون من أحداث كلامية وامتدادات نطقية تكوّن جملاً تتحدّد معالمها بوقفات أو بسكنات أو نحو ذلك؛ فالكلام ليس الوسيلة الوحيدة التي نعبر بها عن أنفسنا، فهناك ما يعرف باللغة الصامتة فكثيراً ما نتحرك ونعبر عما نقول بحركات، وإيماءات معينة أثناء الحديث مع الآخرين، وكثيرون يأتون بحركات لا إرادية قد تكون لافتة، وقد لا نلاحظها بوضوح، فحينما تتصل بالآخرين فإنك تتصرف بطريقتين للتعبير، هما الكلام والحركة، فمن الصعب أن يظل جسدك أو جسد مخاطبك ساكنا، وقد حظيت تلك اللغة بنصيب وافر من اللوحات التعبيرية والجمالية في لغة الخطاب القرآني، والقرآن حينما يتعرض لذلك، إنما يعرضها لاستخلاص العبر والعظات، ولتكون دليلا للبشرية، ينير لها طريقها، وقد تناول القرآن الكريم الإنسان في حالاته جميعها، فرحًا وغضبًا، واقًفا وماشيًا، حزيًنا وسعيدا ومنتصرا ومهزوما؛ فجاء بحث (**توظيف اللغة الصامتة في التعبير القرآني)**) محاولة لتلمس الدلالة القرآنية بأبعادها العرفية العامة، وأبعادها الذوقية الذاتية، وما يفرزه السياق من فائض في المعنى، من خلال تشييد البناء التحليلي للاستعمال القرآني، ومن ثم ولوج الاستعمال القرآني للتعرف على قرآنية الدلالة لهذه اللغة من خلال استقراء الألفاظ وبيان بعدها الأسلوبيّ والدلاليّ، فالدراسات القرآنية، على حدود اطلاع الباحث، تفتقر إلى هذا النوع من البحوث، التي يدرس من خلالها النصّ القرآنيّ الدال على فلسفة الاتصال الصامت وهذا الموضوع جدير بالدرس لما له من ارتباط بواقع حياة الناس، في كيفية التعامل مع شتى شؤون الحياة، وكان منهجي في هذا البحث المنهج الاستقرائي التَّحليلي القائم على البحث والنَّظر والتَّحليل في الآيات القرآنية من خلال استخراج الآيات التي تحتوي إشارات غير شفهية وعرضها بأسلوب سهل وميسر من خلال استخراج الدلالات والمعاني التي تحملها وإيراد بعض اللطائف اللغوية والبلاغية حسب ما أمكن، كل في موضعه المناسب ثم معرفة آراء المفسرين فيها من خلال المصادر القديمة والحديثة والاستفادة من النَّوعين حسب طبيعة البحث([1]).

تمهيد: مفهوم اللغة الصامتة: إنّ اللغة نظام من الرموز الصوتية، أو هي كما عرفها ابن جنّي (392هـ): أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم، وهذا تعريف دقيق، يذكر كثيراً من الجوانب المميزة للغة فقد أكد ابن جني أولاً الطبيعة الصوتية للغة، كما ذكر وظيفتها

الاجتماعية في التعبير، وذكر أيضاً أنها تستخدم في مجتمع فلكل قوم لغتهم. ويقول الباحثون المحدثون بتعريفات مختلفة للغة، وتؤكد كل هذه التعريفات الحديثة الطبيعة الصوتية للغة والوظيفة الاجتماعية لها، وتنوع البيئة اللغوية من مجتمع إنساني لآخر (2) فتتيح اللغة بما تمتلكه من طاقة إيحائية وتوليدية لذهن المتلقي أن ينطلق إلى عوالم تكمن وراءها، يكتشف المتلقي أبعاد هذه الطاقة الإيحائية عندما يحاول الوصول إلى الفهم بغية تحقيق التواصل فاللغة لا تنهض وحدها هنا لتأدية هذا المعنى إذ إنّ توظيف المفردة أو الكلمة بهذا المعنى أو ذاك يجردها من مواضعتها استعدادا للانفتاح على معنى آخر وهكذا فان الدال والمدلول لكلمة ما لا يوثق بينهما أي اتفاق ابدي بل مبدئي ويعد جهد المتلقي في اكتشاف الدلالات التي استمدتها المفردة من تفاعلها مع السياقات التداولية التي وردت فيها، فالمعنى بهذا يكمن في الفعل الاتصالي كله سياقاً ونسقاً وعلاقات ووسائل اتصال فالمعنى لا ينكشف إلا من خلال وضع الوحدة اللغوية في سياقات مختلفة، وهذا ما أشار إليه الجرجاني (ت471هـ) بقوله: (والألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضرباً خاصاً من التأليف، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب) () 3، فالاتصال هو عملية تبادل الأفكار يتم من خلالها نقل معلومات أو أفكار معينة بشكل فاعل من مرسل إلى مستقبل بشكل هادف حيث تمثل اللغة أساسًا فعالاً في عملية الاتصال الإنساني فهي أداة الاتصال، وهي عبارة عن نظام من الرموز لها معان ودلالات وهي قوام الحياة الروحية والفكرية والمادية والتصورية الخيالية بها يعمق الإنسان صلته واتصاله بالفرد والمجتمع، واللغة وسيلة الفرد لقضاء حاجاته، وتنفيذ مطالبه في المجتمع، وبها أيضاً يناقش شؤونه ويستفسر، ويستوضح، وتنمو ثقافته، وتزداد خبراته نتيجة لتفاعله مع البيئة التي ينضوي تحتها وأيا ما كانت تعريفات اللغة، فإن الوظيفة الاتصالية تقف في مقدمة وظائفها، وما دام الإنسان يعيش في جماعات وبيئات، فإنه شاعر منذ القدم بالحاجة إلى التخاطب والتفاهم () 4، كما أن لغة الصمت في النص القرآنيّ تمّثل نصًّا دلاليًا، ينطلق باللغة إلى مستوى يعجّ بالطاقات الإيحائية، والظواهر الجمالية، التي تشكل تربة خصبة لدراسة هذا النص دراسة أسلوبية دلالية، وتنقسم أشكال الاتصال الإنساني من حيث اللغة على قسمين:

1. اللغة اللفظية: وهي اتصال منطوق أو مكتوب تتحكم فيه قواعد اللغة ويستخدم رموزا لها دلالات معينة

2- اللغة الصامتة: وهي اتصال بلغة الإشارات، وأعضاء الجسم، ويطلق عليها لغة الاتصال غير اللفظي [5]. وتوظيف اللغة الصامتة في التعبير القرآني عنوان قام على فكرة أساسية وهي أن تواصل بني الإنسان لا يتوقف عند حدود اللغة المنطوقة، بل يتعدى ذلك ليشمل حركات الجسد وأعضائه، كالوجه والعين، والأطراف والهيئة العامة، يقول نضال

أبوعياش: ((لا يقتصر نقل الأفكار والمعاني على استخدام الكلمات المقروءة أو المنطوقة، بل هناك وسائل أخرى يتم من خلالها الاتصال، وتكاد تكون أكثر من تلك التي نتبادلها من خلال الاتصال اللفظي، وفي الحقيقة فإننا غالبًا ما ننقل رسائل غير لفظية، وتكون في الغالب من طابع المشاعر والأحاسيس والعواطف، بينما يكون الاتصال اللفظي في الغالب للتعبير عن الأفكار وتبادل المعارف)) ([6]، والذي يتأمل في نصوص القرآن، يدرك بكل وضوح استخدام القرآن كثيرا من المصطلحات الدالة على تلك المسألة، قال تعالى)): **فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا** ((مريم: ٢٩، أشارت أي أومأت إليه أي إلى عيسى فتكلم، وقيل: المعنى أشارت إليه أن كلموه، وقال تعالى)): **قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا))** آل عمران: ٤١، قال الزمخشري في قوله **((إلا رمزا)):** إلا إشارة بيد أو رأس أو غيرهما وأصله التحرك [7]، وقال البغوي: والإشارة قد تكون باللسان وبالعين وباليد [8]، ويظهر من هذه الآية أن الرمز سد مسد الكلام، وأدى الرسالة نفسها، وقد ثبت أن الرسول ﷺ كان يكثر من استخدام هذه الرسائل ويدرك معناها للتعبير عن مشاعره مما يدل على معرفته بأهميتها لغة للتواصل بينه وبين المجتمع وقدرتها على توصيل ما يريد المخاطب، كما كان المتلقي يفهم هذه اللغة، ويفقه معناها، دلَّ على ذلك كثير من الأحاديث التي صحت عن الرسول ﷺ، ومنها ما روى البخاري: عن أنس بن مالك y أنه يقول: ((كانت الريح الشديدة إذا هبت عرف ذلك في وجه النبيﷺ)) ([9] لأن الرسول عليه الصلاة والسلام يخشى أن تكون هذه الريح عذاباً، فتظهر بعض التغيرات على وجهه الشريف، ولعل أوّلَ ما ينبغي المُكْثُ عندَه، وَفاءً للخَوضِ في مَطالبِ هذا البحثِ، واستكمالاً لمُستَلْزَماتِه، النّظرُ في باعثِ الباحثِ على الدَّرسِ لِيَعْقُبَه توضيح المقومات التي يستند إليها، فقد تناولت الدراسات اللغوية مفهوم اللغة الصامتة من جوانب مختلفة وما وجد في تلك المصادر من لمحات سيضطر الدارس إلى الغوص في أعماقها لاقتناص بعض من تلك الإشارات في محاولة للوصول إلى مفهوم محدّد يمكن على أساسه أن تقوم دراسة تستوعب مستويات (اللغة الصامتة)، وما يتضمن ذلك الأمر من أحاسيس لدى المتلقي إبان الموقف، كالتعجب، أو الاستغراب، أو المسرة، أو الغضب، أو الحزن، أو الخوف، أو التعظيم، أو التحقير، وقد وجدت اللغة الصامتة درسا عميقا في مباحث التعبير القرآني خاصَّة استدعت ممن تعرضوا لها أن يتفهموا مدلول الكلمة، فقد حوى القرآن الكريم آيات كثيرة تشير إلى اللغة الصامتة وذلك من خلال توظيفها في قضايا يلمسها كل من يتدبر آياته فهي ألفاظ ذات طابع جمالي في الجرس والدلالة والظلال فحيثما يتعرض القرآن لأي غرض من الأغراض فأنّهُ يستخدمها في التعبير، سواء أكان معنىً مجرداً، أم مدح أشخاص، أم فئات معينة، أم تبيان واقعة، أم قصة فيها عبرة لأولي الألباب، أم مشهدا من مشاهد القيامَة....الخ،

وقد تميز القرآن الكريم بكثرةِ استعمالها وتوظيفها في داخل السياق، ثم أن المعنى الحاصل بالإلماح الى الشيء لدى التعبير عنه فنياً وبلاغياً أبلغ وأوقع في النفس من الكلام الصريح، وكثيراً ما وقع هذا في النظم القرآني، فالقرآن الكريم يبتعد أحيانا عن المباشرة القولية والتحديد الصريح للأشياء في مواقف مخصوصة لتحريك الفكر، والبعث على التأمل فيها، وهذه السمة الفنية في القرآن تبعده عن الرتابة التي تحدث من طول استخدام الألفاظ في معان محدودة مألوفة () [10]، وأحاول في هذا الميدان أن أتناول هذا المصطلح في ضوء معطيات النص القرآني، وما ذكره أولئك الرجال من شواهد فصيحة، لتحديد مسار المصطلح، وصولاً إلى أن تلك القضية قد تجاذبتها أقلام الدارسين من زوايا متعددة، فهي حصيلة الجهود العلميّة لاختصاصات متنوعة، فلم تكن محددة في سلك علمي معين، فاللغوي يدرسها، والبلاغي يُعنى بها، والمفسِّر يتناولها، وعالم النفس يهتم بها، وعالم الاجتماع كذلك، وكل يدلو بدلوه في هذا المصطلح، ولعلّ من الصعب أن يضع الباحث تعريفاً محدداً لما يسمّى (اللغة الصامتة)، وذلك لكثرة التعريفات التي وضعها أهل اللغة - فضلاً عن أنّ تقدير جانب كبير منها شيء نسبي مختلف من شخص إلى آخر ومن نص إلى آخر، فحين نرجع إلى كتب اللغة القديمة التي تناولت المصطلح نجد أَنَّ هناك تعريفات كثيرة للغة الصامتة قسمتها على درجات متفاوتة في الدلالة ولكنها تجتمع في النهاية لكي تفيد أنَّ المقصود بها أنها لغة مشتركة بين بني البشر جميعاً على اختلاف أجناسهم ولغاتهم. فإنّ هذا التوحّد في الأصل والمنشأ ورد في قوله تعالى)): **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ))** الحجرات: ١٣، ولا نزاع في أنّ لكلّ قومٍ من العلماء اصطلاحات مخصوصة يستعملونها في معانٍ مخصوصة، إمّا لأَنهم نقلوها بحسب عرفهم إلى تلك المعاني أو لأنهم استعملوها فيها على سبيل التجوّز، ثم صارَ المجاز شائعاً، والحقيقة مغلوبة () [11] وما ذكر من مصطلحات عن اللغة الصامتة يمكن التفريق بينها عن طريق السياق الذي وردت فيه الفكرة، ولا يحكم التفريق بين المصطلحات إلاّ الاختيار حسب وضوح المعنى في نفس المتفنن الذي يرغب في إيصاله إلى المتلقي، ولقد أدرك الجاحظ بعض وظائف الاتّصال الصامت حيث جعل ذلك من أنواع الدلالات المحققة للمعرفة مما يدلل على اهتمام علماء العرب بهذا الضرب نظرا لأهميته وقد أشار إليه الجاحظ في المنازل الخمس وهي: المنزلة الأولى: اللفظ، المنزلة الثانية: الخط، المنزلة الثالثة: الإشارة، المنزلة الرابعة: العقد، المنزلة الخامسة: وهي الحال أو النصبة، وما يهمنا هي المنزلة الثالثة، فرأى أنها في كثير من الأحيان تغني عن اللفظ إذا ما أردت أن تنقل معلومة في مجتمع ما ولا تريد ان يشعر بك أحد وقد أفرد الجاحظ للإشارة معنى خاصا فهي المُعين للخطيب مثلا وقتما يزاوج بين اللفظ والإشارة يقول: ((فأما الإشارة فباليد وبالرأس وبالعين

والحاجب، والمنكب إذا تباعد الشخصان، وبالثوب والسيف، وقد يتهدد رافع السوط والسيف فيكون ذلك زاجرا رادعا ويكون وعيدا وتحذيراً والإشارة واللفظ شريكان ونعم العون هي له ونعم الترجمان هي عنه وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وما تغني عن الخط وبعد فهل تعدو الإشارة أن تكون ذات صورة معروفة وحلية موصوفة على اختلاف في طبقاتها ودلالتها وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير ومعونة حاضرة في أمور يسرها الناس من بعض ويخفونها من الجليس وغير الجليس ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص ولجهلوا هذا الباب البتة)) ()[12]، ومبلغ الإشارة عند الجاحظ أبعد من مبلغ الصوت، وبها يتفاهم الناس بسهولة إذا علموا تأويلها، وعرفوا علاقاتها بالشيء المشار بها إليه لان الإشارة قد تكون حركة فتؤدي مدلولاً معيناً، وهذا المدلول يتحصل من غير نطق، فهي في اللغة نظام دلالي غير لفظي إذن فالإشارة مؤدية لذات الوظيفة مع اللسان، وهي الوظيفة التواصلية، ويوافق هذا الكلام ما جاء به الجاحظ وغيره من البلاغيين في أن الإشارة مقيمة للتواصل، من خلال إيصال الأفكار من مرسل إلى مرسل إليه، بل قد تعين اللسان في ذلك، أما صاحب الصناعتين فقد جعل حسن الإشارة من باب البلاغة، فالبلاغة عنده وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة ()[13] ويمكن أن يُظهر الاتصال غير اللفظي الأفكار المشاعر والمقاصد الحقيقية لشخص ما؛ ولذلك يشار في بعض الأحيان للسلوكيات غير اللفظية بأنها تصريحات ((لأنها تخبرنا عن الحالة العقلية الحقيقية للشخص)) ([14]. وتبيّن الأبحاث أن الاتصال غير اللفظي هو الجزء الأهم من أيّ رسالة تنتقل إلى المستقبل، وأن الرسالة غير اللفظية المنقولة غنية ومعقدة في طبيعتها، وتحتوي على تعابير الوجه، وحركات الجسم، واليدين، والقدمين، وملابس الشخص المرسل، ونظراته، وتوتره، وانفعالاته...وما إلى ذلك وفي دراسة قام بها عالم النفس الأمريكي ألبرت مهرابيان عام 1967م حدد بقياس دقيق الاثر الكبير الذي تحدثه اللغة الصامتة فقد أكتشف أن 7 % فقط من الإتصال يكون بالكلمات و38 % بنبرة الصوت و55 % بلغة الجسد، وتجدر الإشارة إلى أهم مزايا الاتصال غير اللفظي:

أولاً: يعبِّر عن معلومات وجدانية، لا يعبر عنها بطريقة لفظية.

ثانياً: الاتصال غير اللفظي يعطي معلومات متصلة بمضمون الرسالة اللفظية؛ فهو يمدُّنا بأدوات لتفسير الكلمات التي نسمعها، مثل: نبرة الصوت, تعبيرات الوجه.

ثالثاً: الرسائل غير اللفظية تتميز بصدقها؛ لأنه غالباً لا يمكن التحكم بها ([15]).

ويمكن تعريف اللغة الصامتة، بأنها: لغة غير لفظية تشمل: الحركات، الإشارات، والإيماءات، والتعابير الصادرة عن أجزاء من جسم الإنسان، في مواقف مختلفة. وهذه اللغة تحمل دلالات ومعاني رمزية، وتساعد على التواصل مع الآخرين، والتأثير عليهم بطريقة إيجابية

أو سلبية ([16])، وعرفها محمد الأمين بقوله: ((هي الرسائل التواصلية الموجودة في الكون الذي نعيشه، ونتلقاها عبر حواسنا الخمس، ويتم تداولها عبر قنوات متعددة، وتشمل كل الرسائل التواصلية حتى تلك التي تتداخل مع اللغة اللفظية والتي تعتبر من ضمن بنيتها. وتتجلى وسائل الاتصال غير اللفظي عبر سلوك العين، وتعبيرات الوجه، والإيماءات، وحركات الجسد، وهيئة الجسد وأوضاعه، والشم، واللمس، والذوق، والمسافة، والمظهر، والمنتجات الصناعية، والصوت، والوقت، ومفهوم الزمن، وترتيب البيئة الطبيعية والاصطناعية)) ([17])، ويمكن أن تجمع رؤى العلماء في المصطلح ليُستنتج منها تعريف يكون اكثر توافقاً مع دراستنا فيقال: انّ اللغة الصامتة بطبيعتها لغةٌ غير كلامية تشمل أساليب التواصل البشري من خلال الإيماءات الجسدية بما فيها تعابير الوجه، ووضعيات الجسم، إضافةً إلى التلامس والاتصال الجسدي، وهي لغة عامة لاتخص شعبا بعينه ولا لغة معينة بل عالمية، ومُعمَّرة ومتقادمة، ومتداولة في المشارق والمغارب، فليست مخصوصاً بها شعبٌ دون غيره أو إقليم دون آخر، وقبل أن أضع القلم خاتماً هذا التمهيد أود أن أقول: إنَّ مصطلح (اللغة الصامتة) لم يكن وليد عصرنا، فقد أفاضَ القدامى في بيان مضمونه، وكان لكلٍ واحد منهم أسلوبه في إبراز معنى المصطلح، وما ذكره المحدثون من زيادات لا تخرج في جوهرها عما عالجه القدماء، وما اختلفوا فيه من تعريف للمصطلح فهو يشير في النهاية إلى مفهوم واحد هو صمت الجوارح، وما عداها فهو أسماء لها تتراوح بين الاتصال غير اللفظي ولغة الجسدولغة البدن ولغة الاشارة واللغة الصامتة والحركات الإيضاحية وتعبيرات الجسم وهواختلاف في التسمية لا غير، فأيا كانت تلك الحركات والتعبيرات سواء بالوجه أو اليدين أو حتى بالجسم كله في طريقة الجلوس أو المشي تعد لغة صامتة، وقد اختار الباحث مصطلح (اللغة الصامتة) لما يحمل من دلالات تنسجم وما يتعين أن تكون عليه فكرة الموضوع من وضوح وتحديد يتفقان ومضمون البحث، وذلك للأسباب الاتية:([18])

أ -أن الألفاظ في الحقيقة ما هي إلا رموز تم الّتعبير عنها بأصوات معينة تم الاتِّفاق عليها في حين أ ن رموز الاتِّصال الصامت بقيت صامتة بدون صوت.

ب - يتم في الاتِّصال الصامت تَسرب الرسائل من المرسل الى المستقبل بصمت وغالباً دون إدراك منهما أو إحساس.

ج -أنَّه اتِّصال يصمت فيه الِّلسان- الذي هو محلّ النطق عادة -عن اللفظ وإن بقي دوره الحركي الإشاري، ويقال للرجل إذا اعتَقَلَ لسانُه فلم يتكّلم أَصمتَ فهو مصمتٌ، ولن أُشْغل بدقائق وتفصيلات حول التسمية أكثر مما ذكر قاصداً لباب الفكرة، مستعيناً بما قاله علماء اللغة والتفسير والنفس والاجتماع الذين عالجوا الموضوع فهي عالم رحب تحفل بمخزون كبير

من الشواهد يستحق أن نسعى للتعرف على قاموس دلالاته فرُب إشارةٍ أبلغ من عبارةٍ, ورُب نظرةٍ أصدق بالتعبير من جملٍ، وربما كان الصمت أبلغ من الكلام.

المطلب الأول: توظيف حركة العين: العيون تعكسُ مكنونات النفس فيظهر أثرها محسوسًا على الجسم، ويترجمها الجسد لغة صامتة تنطق بها أعضاؤه فتغدو لغة صادقة تبثُّ ما في النّفس من كلام قد يعجز اللسان في كثير من الأحيان عن بيانه والتعبير عنه، أو ربّما أخفاه تحرّزًا وخوفًا، وربّما خجلا فتظهره أعضاء الجسد، وربّما استطاع الإنسان إخفاءَ ما في نفسه، وحاول ضبط حركاته، وأمسك بزمام انفعالاته، لكّنه لن يستطيعَ أن يتحكمَ بانفعالات عينيه فقد تنطق العيون بحب صادق عميق تعجز الكلمات عن بيانه ([19])، وقد كان لتنوع حركة العين في البيان القرآني أثر واضح في إبراز كثير من المعاني التي كشفت عما في قلوب أصحابها، وانفعالاتهم النفسية سلبا وإيجابا، قال الألوسي: «وكثيراً ما يَعرف الإنسان مُحبه ومبغضه من خلال النظر، ويكاد النظر ينطق بما في القلب» ([20])، والعين للمبصر أساس اللغة الصامتة، فهي التي تنقل لك كلَّ التَّعبيرات التي تصدر عن الآخرين من خوف وحب وحياء وفرح وسرور، وخيانة، والإنسان يتعامل مع لغة العيون للتعبير عما في نفسه للآخرين، وكوسيلة لفهم ما في نفوس الآخرين ([21])، وتتخذ لغة العين في البيان القرآني أشكالا تعبيرية مختلفة تؤدي وظائف تواصلية، وفق حركة العين وزاوية النظرة، ومن ذلك:

أولا: دالة البكاء: هناك تغيرات فسيولوجية تظهر ما يعطي انطباعاً للآخرين مما يراود الإنسان من هموم، ومنها الدموع التي تنهمر، والتي تحمل رسالة قوية وظفها بيان الله بكيفية في الوجه والعينين تنقبض بها الوجنتان والأسارير والأنف ويسيل الدمع من العينين وذلك يعرض عند الحزن أو العجز عن مقاومة الغلب ([22])، وقد وردت في القرآن الكريم نصوص تحدثت عن العين الباكية، وجاءت تحمل في طياتها تعبيرات مختلفة من خلال السياق الاتصالي الذي وردت فيه وهي:

أ. **تعبير الصدق:** ربما تحدثت الدموع ونابت عن اللسان في بيان المشاعر والأفكار فتحدث البيان القراني عن المعاني الصادقة التي رسمتها الدموع المنهمرة من العيون تأثراً بسماعها للقرآن الكريم، يقول الله تعالى: **((وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ))** التوبة: ٩٢، هنا تظهر النفوس على حقيقتها وتقوم الجوارح بوظيفتها، فقد جاء البكاء في الآية دالاً على صدق هؤلاء البكائين الذين فاضت أعينهم؛ لعدم تمكنهم من المشاركة في الجهاد في سبيل الله، ولا شك أن للبكاء من التأثير ما يفوق أي كلام يمكن أن يقال في هذه المناسبة ([23]) فهؤلاء نطقت عيونهم وأنبأت بما يدور في نفوسهم من مشاعر، قبل أن تنطق ألسنتهم، وهذا دليل شدة الحزن الصادق

حيث بذل كل ما في وسعه، وبالتالي كان العفو ورفع الحرج واللوم، يقول سيد قطب ((إنهم إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول من هذا القرآن اهتزت مشاعرهم، ولانت قلوبهم، وفاضت أعينهم بالدمع تعبيرا عن التأثر العميق العنيف بالحق الذي سمعوه، والذي لا يجدون له في أول الأمر كفاء من التعبير إلا الدمع الغزير، وهي حالة معروفة في النفس البشرية حين يبلغ بها التأثر درجة أعلى من أن يفي بها القول فيفيض الدمع ليؤدي ما لا يؤديه القول ,وليطلق الشحنة الحبيسة من التأثر العميق العنيف)) ([24])

ب- تعبير الكذب: يقول الله تعالى: **((وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ))** يوسف: ١٦ فالمتظاهر بالأمر ينكشف أمره لأهل البصيرة ولو استخدم التمثيل فإنهم جاءوا أباهم عشاء يبكون هذا تمثيل لانفعال طبيعي غريزي فطري؛ ليس للإنسان فيه مجال اختيار؛ ومن يريد أن يفتعله فهو يتباكى، بأن يفرك عينيه، أو يأتي ببعض ريقه ويقربه من عينيه، ولا يستر ذلك إلا أن يكون الضوء خافتاً؛ لذلك جاؤوا أباهم عشاء يمثلون البكاء فكان الاتصال الصامت من خلال استخدام لغة العيون، حيث كان البكاء بين يدي والدهم –كما نفهم من النص القرآني- هو الرسالة الأولى التي نقلوا الخبر من خلالها ثم استخدموا لغة الإشارة، وذلك من خلال الدم الذي جاءوا به على القميص، محاولة للتدليل على صدق دعواهم، ولا شك أن نقل الخبر بهذه الصورة يجعله أكثر قوة وتأثيرا، فعلى الرغم من أنَّ البكاء لم يكن إلا دموع التماسيح، وأنّ الدم كان كاذباً -وبغض النظر عن اقتناع سيدنا يعقوب عليه السلام بذلك- إلا أنّ إخوة يوسف ما جاءوا بهذه القرائن الصامتة إلا لعلمهم بأنها تدعم موقفهم وتقوّي الرسالة التي يريدون ايصالها، وبيان وقت رجوعهم، وتحديده بوقت العشاء إنما هو دليل على أن بكاءهم كان تصنعاً؛ ولأن ((انفعال البكاء فطري لا مجال للاختيار فيه فقد أرادوا إخفاء تصنعهم بالبكاء حتى لا ينكشف أمرهم فكان وقت الظلمة هو الأنسب، ولذلك فإذا ما اكتشف الآخرون هذا التصنع فإن موقفهم سيكون الحذر وعدم التصديق)) ([25])، وهنا تنطق لغة الصمت بما تعجز الكلمات عن بيانه فكانت أمارات الكذب تنجلي مِن حالهم ومقالهم ولغة عيونهم قبل العبارات التي تلفظوا بها.

ج): تعبير الحزن: قال تعالى: ﴿**وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ**﴾ (يوسف84)، وهذا المشهد هو أبرز مشاهد الحزن في القرآن الكريم فسيدنا يعقوب لم يتمالك نفسه حزنا على فراق ابنه فذرفت عينه التي تكلمت من دون صوت فقد جمع مع الحزن الكمد والهم والبكاء والبث والشكوى إلى الله تعالى ونتج عنه ضعف البصر فاعتزل الناس ليندب وحده من لن ينساه أبدًا يندبه بهذه الصرخة الحزينة، وزاده فراق ولده الثاني حزنًا على حزن، وبكاء على بكاء، وعيناه أصيبتا بالقرحة من آثار البكاء فهو يتنفس منهما بالدموع كما يتنفس من رئتيه بالآهات، والحسرات كما يتجرع الغيظ ويتجلد ولكن على حساب

جسمه وأعصابه ([26])، وقال الشيخ عبد الكريم الخطيب وهو يصف هذه المرحلة من الحزن ((وهكذا تهجم لوعات الأسى والحسرة على الشيخ الكبير، حتى لقد ابيضت عيناه من الحزن الدفين الذي أبى على عينيه أن تبللهما قطرات الدموع، وأن تطفئ النار المشتعلة فيهما , حتى أتت على فحمة سوادهما وأحالته رمادا)) ([27])، وهذه المرحلة أظهرت أن أشرف أعضاء الإنسان كانت غريقة في الغم فاللسان كان مشغولا بقوله ((ياأسفى)) ,والعين بالبكاء والبياض والقلب بالغم الشديد الذي يشبه الوعاء المملوء الذي شد فلا يمكن خروج الماء منه، وهذا مبالغة في وصف ذلك الغم.

ثانيا: دالة الخوف: إذا كانت العين من خلال دموعها تنقل لنا بوضوح مشاعر الحزن والأسى والصدق والكذب، فإنّها كذلك قادرة على إبراز مشاعر الخوف والفزع وبصورة لا تقل وضوحاً عن الكلام، وان الموقف الاتصالي هو الذي يحدد لغة الخوف من خلال:

أ. التعبير بالعين الذليلة: حدثنا القرآن الكريم عن الأبصار الخاشعة يوم القيامة، وهذا الخشوع إنما هو بسبب هول الموقف يوم الحساب، قال تعالى **((خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ))** القمر: ٧ ((والخشوع حقيقته الخضوع والتذلل، وهو هيئة للإنسان ووصف الأبصار به مجازا في الانخفاض والخوف من فظيع ما تشاهده من سوء المعاملة)) (28) حيث تصور هذه الآيات حال الكفار يوم القيامة وما هم فيه من الخزي والذلَّة، وقال تعالى: ((**وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ**)) الشورى: ٤٥، ومن المألوف أن الإنسان يهرب من المكان الخطير أو المرعب إذ إن الهرب رد فعل صامت، ولكن الكافرين لا يستطيعون الهرب من العذاب ولذلك يضطرون للهرب العيني، وهنا لغة صامتة من خلال تصوير حال المشركين في اليوم الآخر، وهم يعرضون على نار جهنم ساكنين متواضعين وقد أصابهم الذل، فلا يقدرون على النظر لسوء حالهم، فجعل نظرهم إليها نظر الخائف الذليل، قال الجزائري: ((أي يسترقون النظر لا يملؤون أعينهم من النظر إلى النار لشدة خوفهم منها)) ([29])، فالسلوك العيني لتلك اللغة الصامتة هو استراق النظر لحالة الإنسان الخاسر، الذي تيقن بالهلاك عند عرضه على نار جهنم، فحاله تنبئ عنه، فهو يحرك أجفانه بذل وخشوع، على أمل أن لا يراه أحد أو أنه لا يستطيع أن يملأ عينيه برؤية نار جهنم، فيقوم بهذه اللغة الصامتة الدالة على الذل والهوان.

ب. التعبير بالعين المندهشة: قال تعالى: ((**وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ**)) الأنبياء: ٩٧، يقول الشعراوي)): وشخوص البصر يأتي حين ترى شيئا لا تتوقعه، ولم تحسب حسابه، فتنظر

مندهشا، يجمد جفنك الأعلى الذي يتحرك على العين، فلا تستطيع حتى أن ترمش أو تطرف، وإذا أردت أن ترى شخوص البصر فانظر إلى شخص يفاجأ بشيء لم يكن في باله فتراه – بلا شعور وبغريزته التكوينية – شاخص البصر لا ينزل جفنه)) ([30]) والتعبير بشخوص البصر سببه ما في يوم القيامة من أهوال عظيمة، وهي أشد وطأة على المجرمين الذين لفرط الخوف ولهول ما يرون تراهم يديمون النّظر لا تتحرك أجفانهم ([31]) كما نرى الصورة واضحة في قول الله: ((**وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ**)) إبراهيم: ٤٢ -٤٣ قال الشربيني ((تثبت عيونهم شاخصة، لا يطرفون بعيونهم، ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك للأجفان، قد شغلهم ما بين أيديهم)) ([32])

ج- التعبير بالعين الدائرة : يصور القرآن الكريم حال المنافقين إذا ما تهيأت الحرب، وكيف يعتريهم الخوف والفزع الشديدان فيقول الله تعالى: ((**وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ**)) محمد: ٢٠ إنّهم ينظرون بنظرات تائهة غير ثابتة، لا تستقّر عيونهم في اتّجاه واحد تماماً كالإنسان الذي يعالج سكرات الموت، كل ذلك خوفاً من الحرب ([33]) ولا ريب أن هذا الخوف ستكشفه نظراتهم بما يعني أنّهم جبناء لا يمكن الاعتماد عليهم، بل يكشف كذبهم، حيث أشار القرآن الكريم إلى سيكولوجية الخائف، والعلامات المصاحبة له، وقد جاء في هذا المعنى قوله تعالى: ((**أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا**)) الأحزاب: ١٩ فهذه الآية تُبيّن درجة الخوف التي بلغها هؤلاء، حتى خَرِست ألسنتهم ونطقت عيونهم يقول سيد قطب: ((وهي صورة شاخصة، واضحة الملامح، متحركة الجوارح، وهي في الوقت ذاته مضحكة، تثير السخرية من هذا الصنف الجبان الذي تنطق أوصاله وجوارحه في لحظة الخوف بالجبن المرتعش الخوار)) ([34])، وهو موقف صامت، تقوم العينان فيه بالوظيفة التعبيرية النفسية، فهذه الآية الكريمة تشير إلى حقيقة علميّة، وهي دوران مقلة العين من شدّة الخوف، فيبطلُ الإدراك، وتختلُّ المراكز العصبيّة اللاواعية في منطقة مهاد المخ فيصير شبيهًا بحالة الذي يغشى عليه من الموت إذ تدور مقلته وتّتسع حدقته، وتثبت على اتساعها حّتى يموت ([35])، فدوران العينيْن من العلامات المؤلِمة المصاحبة للخوف، وهذا يعكس عدم اتزان الشخصية، اذ ((إنّ حركة الارتجاف في العين، وهي من العلامات التي تصاحب الإصابات المرضية في جذع الدّماغ لم يعرفها أطباء الجهاز العصبي الا سنة 1959، بما يسمونه عين الدمية المخلوعة فكل

إصابة في جذع الدّماغ مصحوبة بعلامات العين التي تدور هي إصابة مميتة، يكون المريض خلالها في حالة غيبوبة عميقة تنتهي سريعًا إلى الموت)) ([36]) فشبه الخطاب القرآني نظرات المنافقين وفق سياق الآية بنظرات المغشي عليه من الموت لتبقى نظرات المنافقين في حينها مجسدة في الأذهان، وهي نظرات تحمل في هيئتها ومعانيها قدرا كبيرا من الخوف والجبن، لأن القتال قد يفضي إلى موتهم.

ثالثا: دالة العداء

أ) **تعبير الكراهية:** قال تعالى: **((وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ))** القلم: ٥١ يقال: زلقه وأزلقه إذا نحاه عن مكانه، وقوله تعالى: **((وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ))**: أي ليصيبونك بأعينهم فيزيلونك عن مقامك الذي جعله الله لك ([37])، وهذا النص فيه دلالة على العداء من خلال السخط والحقد والحسد، فهؤلاء الكفار من شدة كرههم وحسدهم ينظرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرة كارهة ساخطة من خلال موقف عيونهم الاتصالي، فلو استطاعوا من خلالها القضاء عليه لفعلوا، ولكن الله عصمه من عيونهم قال الماوردي: ((وكان من عادة العرب إذا أراد أحدهم أن يصيب أحدا بعين في نفسه أو ماله تجوّع ثلاثا، يتعرّض لنفسه أو ماله فيقول تالله ما رأيت أقوى منه ولا أشجع ولا أكثر مالا منه ولا أحسن، فيصيبه بعينه فيهلك هو وماله)) ([38])، وإنَّما يكون ذلك من شدة الكراهية والبغضاء حتَّى لكأنَّه يكاد يقتلك ببصره وهذا ما كان من الكفَّار في عهد النّبي كانوا لشدة كراهيتهم للقرآن، كّلما سمعوا القرآن حدجوه بسهام عيونهم يكادون يأكلونه من شدة الغيظ ([39])

ب) **تعبير الهمز واللمز:** جاء في كتاب الله تعالى آيات تفيد هذا المعنى قال تعالى: **((هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ))** القلم: ١١ وقال تعالى: **((وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ))** الهمزة: ١والهمز يكون بالفعل احتقارا وازدراء واللمز العيب في الوجه وأصله الإشارة بالعين والرأس والشفة مع كلام خفي ([40])، وقد جسدت الآية تعبيرا حركيا صامتا يصور الاستهانة بأقدار الناس وكراماتهم، بالقول والإشارة، باللفتة الساخرة والحركة الهازئة، واعتمادا على البنية المعجمية لمادتي همز ولمز وما ذهب إليه بعض المفسرين فإن الهمز واللمز يتضمنان مساحة تعبيرية حركية ([41])، وقد فرّق أهل اللغة بين الهمز واللمز، قال ابن الأعرابي ((الهُمّاز العيّابون في الغيب، واللُّماز المغتابون في الحضرة)) ([42])، وقد استعمل القرآن الكريم اللمزَ دون الهَمْزِ في حديثه عن المنافقين وصفاتهم مما يدل على أنّ معانيَ اللَّمْزِ أشدُّ وأَوْقَعُ من حَيْثُ طعنِ المنافقين بأَصْحَابِ الحقّ، وبذلك اقتربت دلالة اللمز إلى الافتراء وتلفيق الأباطيل، وبين الهمزة واللمزة ترابط وتواشج في المسلك والقصد، فالهمزة ((وصف مشتق من الهمز وهو أن يعيب أحدٌ أحداً بالإشارة بالعين أو بالشدق أو بالرأس عند

توليه ويقال هامز، وهمّاز، وصيغة (فُعَلَة) تدل على تمكن الوصف من الموصوف)) ([43])، ومرجع هذه الأقوال واحد وهو تعبير صامت يمثل الطعن في الناس والحط من أقدارهم، وذكرهم بما لا يحبونه، وهي تصوير حال المتصف بها تصويراً يتجلى فيه بلوغ المعنى في الوصف.

ج) تعبير الغمز: الغمز هو الإشارة بالعين والحاجب والجفْنِ، غَمزه يغْمزه غمزا، ومنه تغامز القوم اي أشار بعضهم إلى بعض بأعينهم أو بأيديهم ([44])، قال تعالى:)) **وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ** ((المطففين: ٣٠، إنهم الكفَّار يغمز بعضهم بعضاً بعيونهم كلما راوا المؤمنين سخرية واستهزاء ([45])، وقال سيد قطب: ((يغمز بعضهم لبعض بعينيه ,أو يشير بيده، أو يأتي بحركة متعارفة بينهم للسخرية من المؤمنين، وهي ضعيفة واطية تكشف عن سوء الأدب، والتجرد من التهذيب، بقصد إيقاع الانكسار في قلوب المؤمنين، وإصابتهم بالخجل والربكة وهؤلاء الأوغاد يتغامزون عليهم ساخرين))([46])، وقال تعالى: ((**وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ))** التوبة: ١٢٧ يصور السياق الدلالي للآية موقف المنافقين من نزول القرآن الكريم، ويكشف تبادل النظرات بينهم عن حزمة من المشاعر التي تمور في أعماقهم وتتجلى في نظراتهم، تلك النظرات مرتبطة بالموقف الاتصالي للعين الذي كشف أسرار المنافقين، حيث انخدع بعض المؤمنين بهم؛ وذلك من باب التَّحذير، وكأنَ الإنسان إذا انتبه لحركات الغمز في عيونهم فإّنه يتوجس منهم شراً فيأخذ حذره ([47])، قال أبو السعود)) نظر بعضهم إلى بعض تغامزوا بالعيون إنكارا لها أو سخرية بها أو غيظا لما فيها من مخازيهم ((([48]) فكلما أُنزلت سورة تفضح أسرارهم تكلمت عيونهم ونظراتهم حيث لا يستطيعون التَّكلم بأفواههم في حضور المؤمنين ([49]) وكلها حركات تعبر عن مشاعر أو أفكار محددة، وقد تكون نظراتهم لغة إشارية ليتفقوا على الهرب كراهة سماع نزول القرآن الكريم، وبهذا التوجيه يكون السؤال **((هلْ يراكُم من أَحد))**، تعبيرا حركيا لنظرات المنافقين، وهذا التَّغامز فيما بين المنافقين يحمل في طياته دلالات الرعب حين عرفوا بافتضاح أمرهم خوفاً من المؤمنين والإنكار والسخرية مما نزل بحقهم من آيات ([50])، ونجد نصوصا في علم النفس الاجتماعي تعزز ما تقدم، إذ إن اتجاه نظرة شخص ما يمكن أن يكون حدثا اجتماعيا، وعلى الرغم أن اتجاه النظرة يبدو أمرا بسيطا إلا أنه يقوم بدور مهم في سلوك الأفراد فيما بينهم (([51]

المطلب الثاني: توظيف حركة اليد: إنَ لحركة اليد وإشارات الأصابع أثرًا في الاتصال فهي تحمل رسائل من خلال لغة الصمت واللغة المنطوقة في السياق القرآني، فلا تنفك إحداهما عن الأخرى، لتؤديا رسالة واحدة إلى المتلقي وتجسد المعنى وتوضحه، وقد وردت إشارات واضحة المعالم في التعبير القرآني تمثل الاتصال بوساطة الإيماءات والإشارات أو حركات اليد، وأساسه يقوم على قدرة الإنسان على الحركة والفعل، وقد تكون هذه اللغة مترافقة مع اللغة المنطوقة

ومتممة لها، أو مستقلة في إيصال المعلومة المرادة، ومن الصعب ربط الحركة الواحدة للكفين أو للأصابع بدلالة واحدة، فقد تؤدي الحركة الواحدة للكفين دلالات شتى يحددها السياق الاتصالي، ولعل الاتساع الدلالي للغة الكفين يرتبط بالعلائق العصبية بين الكفين والدماغ، وذلك أن اليد هي أداة امتداد الدماغ، والجزء الوحيد في الجسم البشري الذي يكون دوما تحت العينين، والرابطة المميزة مع العالم الخارجي ([52])، واللغة الصامتة اليدوية تنمي التواصل عن بعد في المسافات المنظورة، أو في الأماكن المكتظة والصاخبة، أو لدى أصحاب الأعمال الذين يتعارفون على إشارات معينة بغية إخفاء قصدهم عن غيرهم في أثناء الحديث، وكذلك عند الفرق الرياضية ([53])، لأن هذه الحركات إنما تُعبر تعبيرًا بليغًا عن المشاعر والانفعالات والعواطف وردود الفعل، سواء كانت حركات مقصودة أو غير مقصودة [0 54]، والذي يخصنا في هذا المطلب هو ما جاء في كتاب الله العظيم من تمثيل لهذه اللغة، وما تُمثِّله من معانٍ ومفاهيم، يعين على إبرازها الموقف الاتصالي، ومن تلك الدلالات:

1. دالة الندم:

أ. **التقليب:** قال تعالى: ﴿**وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا**﴾ الكهف: ٤٢ وتقليب الكفين كما يقول الرازي: ((كناية عن الندم والحسرة فإن من عظمت حسرته يصفق إحدى يديه على الأخرى، وقد يمسح إحداهما على الأخرى (([55]) لقد أحاط الهلاك بجنَّة الكافر وثمره، مما جعله يقلِّب كفَّيه ويضرب بعضهما ببعضٍ ندما وحسرة ([56]) وهي إشارة يفهم الآخر منها حسرةً وندماً، وهذا قد يكون مدعاة لأن يلتفَّ حولك الأعوان نصرة ومؤازرة او يتخلَّى عنك الآخرون لتبقى وحيداً. يعتمد ذلك على سلوكك أنت مع من حولك قبل حسرتك، تماماً كالذي كان من صاحب الجنَّتين حيث إّنه كفر بنعمة الله، فمحق رزقه، ولم يكن له من ناصر ويتضمن السياق نوعين من التعبير:

1. تعبير حركي يدوي في قوله تعالى: ((يَقلِّب كَفَّيه))

2. تعبير لفظي بقوله: ((ويقُولُ يا لَيَتني لَم أُ شرِك بِربي أَحدا)).

والتعبير اليدوي يسبق التعبير القولي لا بدلالة السياق التركيبي فحسب بل بدلالة السياق النفسي كذلك؛ إذ إن مشهد دمار البستان أفضى إلى تفاعل فسيولوجي قبل الفعل القولي، فقد نقلت العين مشهد الدمار إلى الدماغ الذي أصدر أمرا فسيولوجيا تجسد بتقليب الكفين، فسلوك اليدين الحركي يظهر قبل السلوك اللغوي، إذ إننا نستقبل المشاهد البصرية والسمعية وغيرهما بحواسنا التي تتفاعل مع عمليات فسيولوجية موافقة لطبيعة المشاهد المؤثرة ثم نعبر عما شاهدناه بفن قولي مناسب للحواس والتفاعل الفسيولوجي، وتتفق دلالة التعبيرين الحركي والقولي، فكلا الدلالتين تصور الندم على ما أصاب البستان ([57]) واستئناسا بما تقدم فإن

حركة اليدين لغة صامتة تختلف دلالتها باختلاف الحركة ويبدوأن التعبير الحركي اليدوي في هذا السياق يحوي كثافة دلالية لا تتوافر في التعبير القولي إذ تغدو الحركة الجسدية مما يسد مسد كلمة أو كلام...فيكون الوصف الحركي في سياقه الشريف قائما على مبدأ الاعتياض ([58]).

ب – **العض**: قال تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلا**﴾ ((الفرقان: ٢٧ يقول ابن كثير: ((يخبر تعالى عن ندم الظالم الذي فارق طريق الرسول وما جاء به من عند الله من الحق المبين، الذي لا مرْية فيه، وسلك طريقا أخرى غير سبيل الرسول، فإذا كان يوم القيامة نَدمَ حيث لا ينفعه الَندَمُ، وعضّ على يديه حسرَةً وأسفا)) ([59])، وهذا التعبير الصامت يحتاج إلى تأمل فهو كناية عن شدة الندامة وفرط التحسر فلم يقل القرآن (يعض أصابعه) أو (يعض يده) بل قال (يعض يديه) إن الموقف الذي يعيشه هذا المجرم, قد أحدث هلعا عظيما في نفسه, فهو يعيش وسط مشهد مهيب, تتملكه مشاعر نفسية موغلة في الاضطراب, وهو لهول ما يرى ويشاهد, بات لا يشعر بما يعمل, فهو قد عض يديه معا لهول ما يرى كذلك فإن القرآن الكريم استخدم الفعل المضارع (يعض) الذي يفيد التجدد والتكرار, فهو لم يعض يديه مرة واحدة فقط, بل يتكرر منه العض لديه ويتجدد, وهو ينسى الألم الناشىء من العض بسبب ما يرى من أهوال يوم القيامة كما إنه معروف أن العض يحدث ألما, لكن هؤلاء العصاة المجرمين لا يشعرون بهذا الالم, لأن الهول العظيم الذي يعيشونه داخل أنفسهم من مشاهد يوم القيامة, قد انساهم شعورهم بالألم، ويبدو ان التعبير اليدوي سبق التعبير القولي عند هذا الظالم فلا تكفيه يد واحدة يعض عليها إنما هو يداول بين هذه وتلك، أو يجمع بينهما لشدة ما يعانيه من الندم اللاذع المتمثل في عضه على اليدين، وهي حركة معهودة يرمز بها إلى حالة نفسية فيجسمها تجسيمًا ([60])، والظاهر أن الآية التي بين أيدينا ترسم لنا لغة صامتة عن حال شخص بلغ به الندم والحسرة مبلغا عظيما، بأن يضع يديه في فمه ويعض عليهما، وذلك دلالة على حالته النفسية البائسة يوم القيامة، بسبب ندمه الشديد على عدم اتباعه للحق وأهله، وبسبب سيره في طريق الكفر والظلم.

2. دالة البسط

أ. **الطلب**: قال تعالى: ﴿**لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلا فِي ضَلالٍ**﴾ الرعد: ١٤ وبَسْط اليَدِ والكفِّ قد يُستعْمَل للطَّلب، أي كالدَّاعي الماءَ يومِئ إليه لِيُجيبَهُ (([61] فالذي يدعو إلهًا من دون الله، كالظمآن الذي يدعو الماء ليبلغ إلى فيه من بعيد، يريد تناوله ولا يقدر عليه بلسانه، ويشير إليه بيده فلا يأتيه أبدًا، لأن الماء لا يستجيب له، وما الماء ببالغ إليه والمشهد هنا ناطق متحرك جاهد لاهف، فدعوة واحدة هي الحق، وهي التي تحق، وهي التي تستجاب إنها

دعوة الله والتوجه إليه والاعتماد عليه وطلب عونه ورحمته وهدا ه، وما عداها باطل وما عداها ضائع وما عداها هباء. ألا ترون حال الداعين لغيره من الشركاء انظروا هذا واحد منهم ملهوف ظمآن يمد ذراعيه ويبسط كفيه، وفمه مفتوح يلهث بالدعاء، يطلب الماء ليبلغ فاه فلا يبلغه، وما هو ببالغه، بعد الجهد واللهفة والعناء، وكذلك دعاء الكافرين بالله الواحد حين يدعون الشركاء ([62]).

ب – **البطش**: دلّ على هذا المعنى أكثر من آية، منها: قال تعالى: ((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**)) المائدة: ١١وقال تعالى: ((**لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ**)) المائدة: ٢٨ وقال عز وجل: ((**إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ**)) المتحنة: ٢ جاء بسط اليد في الآيات السابقة للدلالة على معنى البطش ([63]) قال الزمخشري:)) يبسطون إليكم أيديهم يقولون: هاتوا أرواحكم أخرجوها إلينا من أجسادكم وهذه عبارة عن العنف في السياق، والإلحاح، والتشديد في الإرهاق، من غير تنفيس وإمهال، وإنهم يفعلون بهم فعل الغريم المسلط يبسط يده إلى من عليه الحق، ويعنف عليه في المطالبة ولا يمهله، ويقول له أخر إليّ ما لي عليك الساعة، ولا أريم مكاني، حتى أنزعه من. أحداقك وقيل: معناه باسطو أيديهم عليهم بالعذاب)) ([64])، جاء استخدام لغة اليد بالتحديد لأنه بها يكون البطش والقتل على الحقيقة وحركة اليد التي استخدمت في هذه الآيات تحمل من عمق التأثير في السامع ما يفوق ما قد يحمله الوصف المعنوي لذلك اذ إن حركة بسط الأيدي وكفها، أكثر حيوية من ذلك التعبير المعنوي الآخر والتعبير القرآني يتبع طريقة الصورة والحركة؛ لأن هذه الطريقة تطلق الشحنة الكاملة في التعبير؛ كما لو كان هذا التعبير يطلق للمرة الأولى؛ مصاحبًا للواقعة الحسية التي يعبر عنها مبرزًا لها في صورتها الحية المتحركة([65]).

3. تعبير الغيظ: قال تعالى: ((**هَا أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**)) آل عمران: ١١٩، في هذا النص تعبيران:

1. التعبير الكلامي: المتمثل في قوله تعالى: ((**وإذا لَقُوكُم قَالُوْا آمنَّا**)).
2. التعبير الصامت: المتمثل في قوله تعالى: ((**وإذا خَلوْا عضوْا عَليكُم الأَناملَ من ألغيظ**)).

ففي حالة اللقاء والمواجهة يكون الكذب والنفاق بادعاء الإيمان بوساطة التعبير الكلامي، وفي حالة الفراق والغياب يكون الكفر والغيظ من المؤمنين بوساطة عض الأصابع وهو تعبير

صامت يلجأ كثير من الناس إلى عض أصابعهم في مواقف انفعالية مختلفة، نحو الغيظ يقول الشعراوي: ((فعض الأصبع يسبب الألم، لكن الامتلاء بالغيظ يدفع الإنسان إلى عض الأصابع كمسألة قسرية نتيجة اضطراب وخلل في الانفعال)) ([66])، ولا يخفى أن الخطاب اللغوي المضمر ذو كثافة دلالية يعجز عنها أي تركيب لغوي يمكن أن ينطقه المنافقون للتعبير عن كفرهم وغيظهم. ولكن لماذا يلجأ إلى عض الأنامل في كثير من المواقف الانفعالية؟ ولماذا يغيب التعبير اللغوي في المواقف ذاتها؟ يبدو أن الإجابة تتعلق بالوظيفة العصبية للأنامل في المواقف الانفعالية، ولا خلاف في أن التعبير اللغوي هو استجابة لانفعال أو تفاعل، إذ يعبر الإنسان عن انفعالاته وعن تفاعلاته الفكرية مع محيطه المادي والفكري، ولكنه يلجأ في مواقف معينة إلى التعبير الجسمي، وعض الأنامل واحد من تجلياته يقول القرطبي ((وعض الأنامل من فعل المغضب الذي فاته ما لا يقدر عليه، أو نزل به ما لا يقدر على تغييره)) ([67])

4- تعبير الخوف: من التعابير الصامتة الناجمة عن الانفعال والإثارة وضع الإصبع في الأذن، ويحدث هذا السلوك في حالة الخوف من خلال قوله تعالى: ((**أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ**)) البقرة: ١٩اذ إنَّ وضع رأس الأصبع في الأذن لكفها عن السماع يحمل دلالة الامتناع عن سماع الأصوات القوية الشديدة المزعجة، إذ إنهم يبالغون في إدخال أصابعهم في آذانهم فوق العادة المعتادة في ذلك فرارا من شدة الصوت ([68])، وذهب الآلوسي إلى أن المعهود إدخال السبابة، فكأنهم من فرط دهشتهم يدخلون أي إصبع كانت ولا يسلكون المسلك المعهود ([69])، ومن المألوف أن يضع الإنسان طرف إصبعه في أذنه حينما يتناهى إلى مسمعه صوت مدو أو حينما يترقب سماع صوت مخيف مدمر، ولكن اللافت في الآية أن مصدر الصوت المدوي المخيف جاء من الصواعق، ولم يأت من الرعد. فهل يصدر الصوت المدوي المخيف من الرعد أم من الصواعق، وما الدافع إلى وضع الإصبع في الأذن، صوت الرعد المدوي أم الخوف من الصاعقة الحارقة؟ إن التأمل في البنية المعجمية لمادتي صعق ورعد من جهة وسياق الخوف في الآية من جهة أخرى يفضي إلى أن سبب الخوف الذي دفعهم إلى وضع أصابعهم في آذانهم ناجم عن اجتماع عناصر الرعد والبرق والصاعقة، وهو سلوك غريزي يلجأ إليه الناس في بعض المواقف، ولاسيما في حالة الحرب وسماع صوت انفجار، فيسارع الناس إلى اللغة الصامتة المتمثلة بإغلاق آذانهم ظنا منهم أن منع وصول صوت الانفجار يحميهم من الموت ([70])

4. تعبير الكراهية: حالة الكراهية تتمثل بالتعبير الحركي من خلال قوله تعالى:)) **وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا**)) نوح: ٧ فقد عبَّر قوم نوح عن موقفهم الرافض لهذه الدعوة، بحركات وإشارات تدلّ

دلالة واضحة، ليس على رفض الدعوة وحسب بل على عدم الاستعداد لسماعها من نوح عليه السلام فلا تقتصر دلالة إغلاق الأذن بالإصبع على كراهية الاستماع للكلام، فهي تدل كذلك على عجز السامع عن الإتيان بالأدلة والبراهين للرد على المتكلم، فكأن الكلام يعري عجزهم ويكشف ضعفهم فيلجؤون إلى سد آذانهم، كما يدل إغلاق الأذن على كراهية المتكلم الاستماع لدعوة الحق، قال الزمخشري ((سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة)) ([71])، وقد تكون كراهة النظر إلى وجه من ينصحه ويرشده، يقول سيد قطب: ((فإذا لم يستطيعوا الفرار، لأن الداعي واجههم مواجهة، وتحين الفرصة ليصل إلى أسماعهم بدعوته، كرهوا أن يصل صوته إلى أسماعهم، وكرهوا أن تقع عليه أنظارهم، وأصروا على الضلال، واستكبروا عن الاستجابة لصوت الحق والهدى، وهي صورة لإصرار الداعية على الدعوة، وتحين كل فرصة ليبلغهم إياها؛ وإصرارهم هم على الضلال، تبرز من ثناياها ملامح الطفولة البشرية العنيدة، تبرز في وضع الأصابع في الآذان، وستر الرؤوس والوجوه بالثياب، والتعبير يرسم بكلماته صورة العناد الطفولي الكامل (([72])، ويعزز هذه الدلالة التعبير الحركي الثاني لئلا يروه كراهة النظر إليه من فرط كراهة الدعوة [73]

المبحث الثالث: توظيف حركة الرأس: حركات الرأس تمثل لغة صامتة فهي وسيلة من وسائل الاتّصال والتفاعل الاجتماعي بين البشر، ولقد أبرز القرآن الكريم عن طريق تنوع حركات الرأس سواء في الدنيا أو في الآخرة كثيراً من المعاني المتعددة، كالتولي والإعراض عن سماع الحق، والغضب، والذل والانكسار والتعجب وغيره ([74])، فقد يغدو الرأس لسانا فصيحا في سياق اتصالي لنص ما وربما اكثر تعبيرا منه من خلال المسلك والقصد وقد تعددت الدلالات التي تغني عن اللفظ وتقوم مقامه والتي وظفها البيان القرآني بدلالات مختلفة ومتنوعة، وقد اخترت منها ما يأتي:

أولا: دلالة الذل: في القرآن آيات تعبر عن الذل الذي يحصل للإنسان يوم القيامة نذكر منها ما يأتي:

1- تنكيس الرأس: وهذا هو حال المجرمين يوم القيامة كما يحكيه القرآن في قوله تعالى: ((**وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ**)) السجدة: ١٢، التنكيس في اللغة من" (نكس) النَّكْس قلب الشيء على رأسه نَكَسه ينْكُسه نَكْساً فانْتَكَس، ونَكَس رأَسه أَماله ونَكَّستُه تَنْكيساً، والناكس المطأْطئ رأْسه ونَكَس رأْسه إذا طأْطأَه من ذُلٍّ" ([75])، وتنكيس الرأس يحمل في طياته تعبيرات الذُّل من خلال تلك الصورة المعبرة عن ذلك الإنسان المجرم في حق نفسه؛ لأنه لم يختر لها طريق الإيمان، وتركها تتردى في حمأة الكفر والضلال، حتى إذا لقي ربه شعر بالخزي والندم، واعترف بالخطأ، وطأطأ رأسه ذلا وانكسارا، ([76])، قال سيد قطب: ((إنه مشهد الخزي والاعتراف

بالخطيئة، والإقرار بالحق الذي جحدوه، وإعلان اليقين بما شكوا فيه، وطلب العودة إلى الأرض لإصلاح ما فات في الحياة الأولى وهم ناكسو رؤوسهم خجلا وخزيا (عند ربهم) الذي كانوا يكفرون بلقائه في الدنيا ولكن هذا كله يجيء بعد فوات الأوان حيث لا يجدي اعتراف ولا إعلان)) ([77])، وهذه التَّعبيرات والمشاعر الّتي تظهر من خلال تنكيس الرأس لها تأثيرها في الآخرين حيث قد يؤدي تنكيس رأسك للشَّماتة ممن ناصبته العداء ([78])، كما أن إظهار الآية لحال المجرمين يوم القيامة وتنكيس رؤوسهم إّنما هو إشارة ترهيب وتحذير للّناس، بما يؤدي إلى تغيير السلوك بما يجنّبهم هذا الموقف يوم القيامة، ((ولا ريب أن غريزة حب الإنسان لنفسه تدفعه إلى أن يحقِّق لها كل خير، وأن يحميها من كل شر، سواء ما كان فيهما من عاجل، وما كان من آجل، ومن هنا تحرص النُّفوس الموفَّقة على وعي هداية القرآن، وهدي الرسول، وتعمل جاهدة على أن تحفظ منهما ما وسعها الإمكان أما النُّفوس الضالة المخذولة فإنَّها مصروفة عن هذه السعادة بصوارف الهوى والشَّهوة، أو محجوبة عن هذا المقام بحجاب التَّعصب، والجمود على الفتنة، أو مرتطمة بظلام الجهل في أوحال الضلال والنَّكال)) ([79])، فالصمت هنا حمل من الدلالات مالا يحمله الكلام، هذه الدلالات تستطيع أن تتفكر فيها حين تدرك أن القصد ليس إلقاء عبارات في الهواء، ثم المضي قدماً دون أن يلوي على شيء، بل القصد توصيل رسالة ذات ملامح محددة، وهذه الرسالة لا يستطيع اللفظ ولا المقام ساعتها أن يتحملها لأن المقام مشحون بالتوتر.

2- رفع الرأس: يقول الله تبارك وتعالى مصوراً حال الظالمين في صورة تفيض بالهول والرعب تنفيراً من الكفر وترهيباً منه ((**مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ**)) إبراهيم: ٤٣، يصور القرآن في هذا السياق بعد بيان عدم غفلة الله تعالى عما يعمله الظالمون، وبيان أن عاقبة ظلمهم العذاب لا الغفلة- صورة بالغة الشدة والخوف من خلال لغة صامتة معبرة للإنسان الظالم يوم القيامة وقد أقبل مسرعا خائفا، ومد عنقه وصوب رأسه، وأقبل على الشيء ببصره فلم يرفعه عنه، وأخذ ينظر إليه في ذل وخشوع، قال صاحب التفسير الميسر: "يوم يقوم الظالمون من قبورهم مسرعين لإجابة الداعي رافعي رؤوسهم لا يبصرون شيئًا لهول الموقف، وقلوبهم خالية ليس فيها شيء؛ لكثرة الخوف والوجل من هول ما ترى" ([80])، ولقد جاءت هذه اللغة الصامتة لتبين لنا أنه مجبر على رفع رأسه وفتح عينيه، ليرى ما لا يحب أن يراه، وأنه مسرع إلى مصير لا يشتهيه، قال الأزهري: "المُقنِع: الذي يرفع رأسَه ينظر في ذلّ. قال: والإقناع: رفعُ الرأس. والنَّظرُ في ذل وخشوع" ([81])، وقال الرازي: ((والإقناع رفع الرأس، والنظر في ذل وخشوع. فقوله مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ أي رافعي رؤوسهم، والمعنى: أن المعتاد

فيمن يشاهد البلاء أنه يطرق رأسه عنه لكي لا يراه، فبين تعالى أن حالهم بخلاف هذا المعتاد وأنهم يرفعون رؤوسهم ([82]))، وإقناع الرأس رفعه، ورفع الرأس في هذه الآية إنَّما هو تعبير عن:

1. الذُّل
2. شدة الفزع والذُّعر من هول الموقف وشدته
3. سلب الإرادة

وهذه التَّعبيرات الثَّلاث المستنبطة من رفع الرأس، إنَّما هي إشارات ترهيب يفهمها اللَّبيب فيجتنب نواهي الله لينجو بنفسه من ذلك الموقف ومعاناته وقد يكون لحركة رفع الرأس مضمون آخر هو الإنكار والتَّعجب بما يدفع الشخص المقابل لمزيد من التوضيح أو التفسير أو حتى تغيير المسار قولاً أو فعلاً ([83])، وقد توالى في هذه الآية عدد من صور الصمت للدلالة على الذل والانكسار والذهول والاستسلام الناتجة عن الهول والرعب يوم القيامة التي رسمها التعبير القرآني لهؤلاء الظالمين بهذه الحركات المتوالية، فهذا الإنسان الظالم يكون بصره يوم القيامة شاخصًا ويمشي بسرعة، ورأسه مرفوع، وعيناه مفتوحتان لا يستطيع إغلاقهما، بالرغم من أن الحال تتطلب غير ذلك، إلا أن كل ما يحصل معه كان رغما عنه.

ثانيا: دلالة التعجب: جاءت هذه الحركة في القرآن الكريم في خطاب كفار قريش في إنكارهم للبعث في قوله تعالى: ((**قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا**)) الإسراء: ٥٠ - ٥١، جاؤوا بهذه اللغة الصامتة وهي هز الرأس وتحريكه ليشككوا بما يسمعون، ويستبعدوا حصول ذلك، ويستهزئوا بالقائل حيث تنقل هذه الآية مشهدا من مشاهد تعجب الكفار الذين كانوا يهزون رؤوسهم ويحركونها تعجبا ([84]) حينما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يخبرهم بأن الله القادر على البدء قادر على الإعادة وأصل النغض: تحريك الرأس من أعلى إلى أسفل أو العكس نحو الغير، قال ابن منظور: "نغضَ الشيءُ وأنغض، تحرَّك واضْطرَبَ. وأَنغضه هو أَي حرَّكه كالمتعَجِّب من الشيء ([85]) وقال ابن كثير: "قال ابن عباس وقتادة: يحركونها استهزاء, وهذا الذي قالاه هو الذي تعرفه العرب من لغاتها, لأن الإنغاض هو التحرك من أسفل إلى أعلى أو من أعلى إلى أسفل" ([86])، وتقول حدثت فلاناً فأنغض رأسه: حركه إلى فوق وإلى أسفل يفعل ذلك إنكاراً لما حدثته به، أو تعجباً منه، أو استهزاء وسخرية بما سمع والتصوير في هذه الآية يبرز أمرين أولهما صورة الهوان لهؤلاء الكفار أمام هذه الحجج الدامغة وثانيهما: صورة الاستهزاء والسخرية التي يكون عليها حالهم وهم ينظرون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ويحركون رؤوسهم من أعلى إلى أسفل استنكاراً لقوله واستهزاء به.

ثالثا: دلالة الإعراض: عندما يرفض الإنسان موقفا أو حكما أو توجيها أو إرشادا فإنه يلوي رأسه إعراضا وصدودا واستكبارا واستهزاء، فجاء هذا التعبير الفريد تصويراً لحال المنافقين بهذه اللغة الصامتة من خلال قوله تعالى: ((**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ**)) المنافقون: ٥، ولوي: اللام والواو والياء اصل صحيح، يدلُّ على إمالة للشَّيء يقال: لوى يده يلويها ولوى برأسه: أماله ([87]) وهذه الآية الكريمة إنما تبين شدة ما في قلوب المنافقين من الحقد على الإسلام بحيث لم يستطيعوا إخفاءه فظهر من خلال إمالة الرأس، ولذلك جاء الفعل مشدداً للمبالغة، ولقد كان الإعراض والاستكبار واضحاً في حركة رؤوسهم بدليل أن المؤمنين من أقاربهم حاولوا معهم للاعتذار إلى رسول الله، لكنَّهم أبوا ذلك ([88])، اذ إن رؤوس الكفر إذا دعوا إلى الله ورسوله رأيتهم يلوون أعناقهم إعراضاً وتكبراً([89])، وفي التفسير الميسر: "وإذا قيل لهؤلاء المنافقين: أقبلوا تائبين معتذرين عمَّا بدر منكم من سيِّئ القول وسفه الحديث، يستغفر لكم رسول الله ويسأل الله لكم المغفرة والعفو عن ذنوبكم، أمالوا رؤوسهم وحركوها استهزاءً واستكبارًا، وأبصرتهم –أيها الرسول- يعرضون عنك، وهم مستكبرون عن الامتثال لما طُلِب منهم". ([90]) ويشخص التصوير بحركة لي الرؤوس في هذه الآية الكريمة لغة صامتة لصورة قبيحة للمنافقين، قصد بها بيان بشاعة إعراضهم، وإظهار الزراية بهم والسخرية منهم ولا يخفى ما في هذا التعبير من الكناية عن التكبر والإعراض.

رابعا: دلالة الانكسار: يسعى التعبير القرآني من خلال التصوير بالحركة الصامتة إلى إبراز هذه الصورة المرعبة كأنها واقع مشهود يتابعه السامع بعينيه، ومع أن التعبير بحركة نكس الرؤوس كناية عن الانكسار فهو يحمل في طياته مع الاعتراف بالخطيئة والإقرار بالحق الذي جحدوه، والشعور بالعجز فهم كالعاجز الذي نراه حين يفقده ما هو فيه من الرعب والهول يطامن برأسه إلى الأرض ذلاً وانكساراً وندماً، ولا شك أن للسياق والمقام أثراً بالغاً في فهم هذه الدلالة ويتجلى ذلك فيما حدث لقوم إبراهيم عليه السلام حين كسر إبراهيم جميع أصنامهم، وعلق الفأس في رقبة كبيرهم، فلما سألوه عن الفاعل، ((**قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ**)) الأنبياء: 63، حين ذلك أطرقوا برؤوسهم؛ لأنهم أحسوا بأنهم على خطأ، وأنه على صواب، وأن هذه الأصنام التي لا تدافع عن نفسها ليست جديرة بأن تعبد من دون الله، قال تعالى: ((**ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ**)) الأنبياء: 65 والنَّكْسُ: قلب الشيء على رأسه. وفي التنزيل نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ. والناكِسُ: المُطَأْطِئ رأْسَه ونكسَ رأْسَه، إذا طأْطأَه من ذلٍّ ([91]) وقال الزمخشري ([92]): ((قُلِبوا على رؤوسهم حقيقة لفرط إطراقهم خجلا وانكسارا وانخزالا مما بهتهم به إبراهيم)) ويقول القرطبي: نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ

أي ردوا على ما كانوا عليه في أول الأمر. وكذا قال ابن عباس. قال: أدركهم الشقاء فعادوا إلى كفرهم" ([93]) واللغة الصامتة في الآية الأولى جاءت على سبيل الكناية للدلالة على الارتداد عن الرأي الصواب والعودة إلى الكفر بعد وضوح الحق لهم، وعدم قدرتهم على إثبات صدق معتقدهم.

المطلب الرابع: توظيف حركة الرجل: اعتنى القرآن الكريم بقضية حركة الرجل عناية جليلة، ووجهنا إلى فهمها في آيات عدة، تارة أمراً، وتارة حثاً، وتارة تحفيزاً لنا من خلال بيان اشتمالها على كثير من المعاني والدقائق في البيان والنظم بما يوجب على الباحثين اجتلاءها وتدبرها، حيث ورد في كتاب الله تعالى آيات كثيرة تتكلم عن لغة الرجل، فقد جاء في الآيات ذكر المشي باللفظ نفسه، وجاء في مواضع أخرى بألفاظ أخرى منها السير، وكلها تعتبر من أشكال المشي التي تمثل هيئات صامتة وكل هيئة في حد ذاتها رسالة يقرأها ويفسرها من ينظر إليه وتنم عن شخصية صاحبها فلها العديد من المعاني كالحياء والتَّكبر والتَّواضع والقلق والخوف وجذب الانتباه وغيره ([94]) , فمن دلالاتها في البيان القرآني على سبيل الانتقاء لا الاستقصاء: -

أولا: دلالة السعي: السعي: مشي سريع دون العدو ([95])، والسّعْي عَدْوٌ دون الشدَ، وهو تعبير صامت يبذل الإنسان فيه جهدًا وحركة، وتلك الحركة تكون في الاتجاهات كّلها وبشكل تقدميّ، لأن هناك هدفًا للإنسان من وراء سعيه وقد ورد هذا التعبير في القرآن الكريم بدلالات مختلفة بحسب السياق الاتصالي القرآني ومنها قوله الله: ((**وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ**)) يس: ٢٠، ووصف الرجل بأنَّه يسعى أي لبيان اهتمامه ومسارعته لتغيير المنكر ونصيحة قومه، ولا شك أن سلوكه هذا فيه ترغيب للناس كما أنه يعد ممن يقتدي به غيره ([96])، ففي (سعى) ((رصد هامشي لبعد السعي في دلالته على الجدية والحث والمواظبة لا المشي والسير بسرعة فحسب، بل هو اشتراك فعال في حسم النزاع، وفض الخصومة، والدعوة إلى الإصلاح، بجنان ثابت وعمل متواصل، وجهد ملموس، حتى عد الرجل ساعيا)) ([97]) فكأنه أول ما خرج كان يطلب الإصلاح والفصل، ويقصد التدخل لحلحلة ما وقع بين المرسلين وقومه بروحية وثقة من أُوحي إليه أو أُرسل لأجل ذلك، فيكون السعي إعمالا للذهن وحشدا للشعور، فهو سعي فكري لا يخلو من عاطفة، فضلا عن كونه فعلا حركيا، وربما يشير بـ (يسعى) إلى الخوف والترقب، فكأن الرجل يتلفت خوفا من ان يمنع وصول المكان، أو يتأخر في وصوله، او يتوقف لإنهاء الخصومة لمصلحة الرسل وفي قوله ((وَجَاءَ رجل مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ)) وتقديمه ((ما يبكت القوم به اعظم والتعجب منه اكثر)) ([98])، وما يعضد دلالة السعي على النصح والمبالغة فيه، وإذا احتيج إلى تقليل أو توقع دلالة الخوف مع السعي الفكري العقيدي في الآية السابقة، فإنها واضحة مع تحصل الفكر والعقيدة في قوله تعالى عن

مؤمن آل فرعون: ((**وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ**)) القصص: ٢٠ فالسياق الكلي الذي يذكر فيه خبر هذا المؤمن وسعيه سياق مملوء بالخوف ([99]) وأمارات الحزن والضعف.

ثانيا: دلالة الضرب: ضرب الرجل في الأرض وذلك للفت الأنظار وهذا فعل النِّسوة، فيقول الله: ((**وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ**)) النور: 31، ولما كانت الوقاية هي المقصودة بهذا الإجراء، فقد مضت الآية تنهى المؤمنات عن الحركات التي تعلن عن الزينة المستورة، وتهيج الشهوات الكامنة، وتوقظ المشاعر النائمة، ولو لم يكشفن فعلا عن الزينة، وفي ذلك تنبيه من هذه المرأة لمن حولها أن انظروا إليَ، فهي وإن لم تتكلم بلسانها إلا أنها أوصلت مرادها من خلال لغة صامتة تتمثل بصوت خلخالها، وهذا الفعل من أفعال الجاهلية التي حرمها الإسلام، لما فيه من خطر وإشاعة للفاحشة وإيقاظ للشهوة لدى الرجال. ولقد كانت النِّساء في الجاهلية تضرب أرجلها في الأرض وهي تمشي ليسمع ما تلبسه من خلخال صامت، وقد نهت الآية عن مثل ذلك لأن الرجل ضعيف النَّفس الذي تغلب عليه شهوة النِّساء، سيكون هذا الفعل بالنِّسبة له مثيراً بدرجة أكبر بما يدفعه للنَّظر إليهن والوقوع في المحظور ([100]).

ثالثا: دلالة المشي: قال تعالى: ((**أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُولِي النُّهَى**)) طه: ١٢٨ المشي الانتقال من مكان إلى مكان بإرادة، والمشي بمعنى الممر ([101])، وفيه رصد دلالي إلى التفكر والاعتبار، وحمد الله تعالى على الهدى وأمن العذاب وقد اخذ المشي دلالات متنوعة منها:

أ-الهون: قد يمشي الإنسان مشية لينة هينة، وذلك إذا كان مهموما، أو محزونا، أو مهزوما، أو ضعيفا بدنيا أو نفسيا، أو لأنه من أصحاب الوقار والتواضع، فلا يختال في مشيته ولا يتكبر، تواضعا لله، ورحمة بالناس. وهذا المعنى نجده في قوله تعالى: ((**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا**)) الفرقان: ٦٣، قال الزمخشري: (("هونا": حال أو صفة للمشي بمعنى: هينين، أو مشيا هينا، والهون: الرفق واللين، والمعنى: أنهم يمشون بسكينة ووقار وتواضع)) ([102])، وفي الآية السابقة بيان بلغة صامتة لحال المؤمنين الذين اتخذوا أوامر الله نبراساً لهم في حياتهم حيث يصف الطبري مشية هؤلاء بقوله إنهم يمشون بالحلم والسكينة والوقار، غير مستكبرين، ولا متجبرين، ولا ساعين فيها بالفساد ([103])، وهذه المشية يقرؤها الآخرون على أنَّها تواضع منك، وهذا يوحي للآخرين بما تتَّصف به من الأخلاق الطيبة وقال تعالى: "**وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ** " لقمان: 19، قال الزمخشري: "واعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين: لا تدب دبيب المتماوتين، وتثب وثيب الشطار" ([104]).. أنهم يمشون على الأرض مشية سهلة هينة، ليس فيها تكلف ولا تصنع، وليس فيها خيلاء ولا تنفج، ولا تصعير

خد، فالمشية ككل حركة تعبر عن الشخصية، وعما يستكن فيها من مشاعر والنفس السوية المطمئنة الجادة القاصدة، تخلع صفاتها هذه على مشية صاحبها، فيمشي مشية سوية مطمئنة جادة قاصدة. فيها وقار وسكينة ([105])، وقال تعالى ((**وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا**)) الفرقان: ٢٠وهذا المشي بعينه ويلحظ فيه مدلول التواضع والانبساط والبشر واللين، والمحادثة، فضلا عن المراقبة.

ب- **المرح:** المرح في المشي يشي بالخيلاء والتَّكبر، وقد نهى القرآن الكريم عن تلك المشية مشية التبختر والتمايل والإعجاب بالنفس في قول الله: ((**وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولا**)) الإسراء: ٣٧، وقوله: ((**وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ**)) لقمان: ١٨، قال ابن منظور: "المَرَحُ شدَّة الفَرَحِ والنشاط حتى يجاوزَ قدْرَه...أي متبخترًا مختالا" ([106])، ومن تأثير هذه المشية في الآخرين: إغاظتهم وإظهار الهيمنة والقوة عليهم، وهي منهي عنها إذا كان التَّعامل بين المسلمين بعضهم البعض، ولكّنها مستحبة في الحرب لإغاظة العدو ودب الرعب في قلوبهم ([107])، وهذه المعاملة التي تظهر من خلال مشية المسلم تدخل في عموم قوله ((**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ**)) الفتح: 29.

ج- **الاستحياء:** قد تكون المشية إيماءة إلى الحياء أو الخجل فيحكي لنا القرآن قصة إحدى ابنتي الرجل الصالح اللتين سقى لهما سيدنا موسى عليه السلام أغنامهما لما أرسلها أبوها إليه ليجزيه أجر ما فعل، فيقول: ((**فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ**)) القصص: ٢٥، والاستحياء مبالغة في الحياء، والمعنى أنَّها كانت تمشي مستحيية بدون تبختر أو تثن أو إظهارٍ لزينة، قال الزمخشري ((في موضع الحال، أي: مستحيية متخفرة، وقيل: قد استترت بكم درعها)) ([108])، وفي هذا منع للعابثين وأصحاب نيات السوء أن يقتربوا أو يمسوها بسوء، وجاء المشي للوحي بالاستحياء والهدوء، وذلك في سياق قصة موسى إذ يقول تعالى ((**إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ**)) القصص: 25 ويمشي الاطمئنان والتوكل إلى وحي هذه اللفظة في هذا السياق.

خاتمة البحث: بعد هذا التطواف الممتع في روضة من رياض القرآن الكريم فلا بد من أن نضع ملامح وتصورات لحديث هذه الرحلة ولأقيم لائحة بأهم النتائج التي يمكن بيانها بما يأتي: -

1- إن القران الكريم قد حوى في سوره كثيرا من الفاظ اللغة الصامتة وقد وظف هذه الالفاظ توظيفا بيانيا يتناسب مع سياق الآيات الواردة فيها تلك دراسة قامت على فكرة

أساسية وهي أن التواصل الإنساني لا يتوقف عند حدود الكلمات المنطوقة بل يتعدى ذلك ليشمل حركات الجسد وأعضائه، كالوجه والعين والأطراف كلها تمثل أدوات مساعدة توصل المعاني للآخرين وتؤثر فيهم بشكل كبير.

2-اللغة الصامتة أسلوب اعتادته البشرية لبيان الفكرة التي تنبع في محاورتها وكلامها في أحايين كثيرة لأنها لا ترى غيرهُ يصلح لإيصال ما في القلوب من المعاني بالشكل الذي تريده، ذلك ما أكدته نصوص القرآن الكريم، إذ إنّهُ خاطبَ البشر كافة ولذلك جاء على طرائقهم وأساليبهم في التعبير.

3- اللغة الصامتة ظاهرة عامة في القرآن الكريم يلمسها كل منِ يتدبر آياته فهي ألفاظ ذات طابع جمالي في الدلالة والاغراض، فأنّهُ يستخدمها في التعبير، سواء أكان معنىً مجرداً، أم مدح أشخاص، أم فئات معينة، أم تبيان واقعة، أم قصة فيها عبرة لأولي الألباب، أم مشهدا من مشاهد القيامَة....الخ، وقد تميز القرآن الكريم بكثرةِ استعمالها وتوظيفها في داخل السياق.

4- يمكن القول باطمئنان يحمل في طياته الأدلة الكافية إنَّ المفسرين كانوا على قدر كبير من الدقة في تناول دلالة اللغة الصامتة، وعلى جانب أكبر من الاستيعاب، فقد كانت وقفاتهم هنا وهناك منبعاً أصيلاً استقى منه الباحث كثيراً من الدرر النفيسة.

5- أهمية توظيف اللغة الصامتة في العملية التربوية والتعليمية لما لها من دور في تحقيق الأهداف بأقل جهد وزمن.

6- تكمن أهمية اللغة الصامتة في ترجمة ما يدور في خلجات النفس، وإظهاره على أعضاء الجسم الخارجية، دون سيطرة من الإنسان عليها في كثير من الأحيان، فهي بذلك تشكل عاملا مهما في عملية التواصل البشري.

7- تلعب اليد دورا مهما في عملية التواصل, والتي يمكن تقسيمها بحسب التصور القرآني إلى حركات تتعلق باليد والأصابع.

مراجع البحث وإحالاته:

1 سبق أن نشرت بحثا عن توظيف حركة الوجه والموسوم بـ(توظيف الحقل الدلالي في البيان القرآني الوجه الإنساني أنموذجا) نشر في مجلة اللغات والآداب العدد7السنة الثالثة العام2012 فلا حاجة لتكرار ما قد كتب

2 ابن جني، أبو الفتح عثمان: " الخصائص "، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1952م.، ج1، ص40 – 41

3 الجرجاني لعبد القاهر ت271 هـ أسرار البلاغة، دار المسيرة، بيروت . لبنان، ط3، 1403هـ . 1983م: 3، وينظر البنى والدلالات في لغة القصص القرآني، أطروحة دكتوراه، عماد عبد يحيى، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1992ص28

4- ينظر: الجطلاوي، الدكتور الهادي، قضايا اللغة في كتب التفسير، المنهج، التأويل، الإعجاز-، تونس، 1418هـ . 1998م ص 24، و".استيتيه، د. سمير شريف- ثلاثيَّة اللِّسانيَّات التَّواصليَّة، عالم الفكر- مجلَّة دوريَّة محكَّمة تصدر عن المجلس الوطنيّ للثَّقافة والفنون والآداب الكويت، المجلَّد (2006/34م، ص(10)) ومنال عبد المنعم- الاتصال الثقافي- منشأة المعارف- الإسكندرية- 1997م- ص 35

5- ينظر: ابو عرقوب، إبراهيم، الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي، دار مجدلاوي، عمان: 1993 ص4، العيسوي، عبد الرحمن -علم النفس الإداري، ط 1، دار الراتب الجامعية بيروت، 2004 ص18

6- ينظر: أبوعياش، نضال: الاتصال الإنساني من النظرية إلى التطبيق، ط 1، كلية فلسطين التقنية، 2005 م، ص 119وينظر: عودة، محمود: أساليب الاتصال والتغيير الاجتماعي، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1988، ص 24، وبني يونس، محمد محمود: سيكولوجيا الواقعية والانفعالات، ط 1، عمان: دار المسيرة، 2007 م، ص 40

7- الزمخشري، محمود بن عمر ت 538 هـ: الكشاف عن حقائق التنزيل، تحقيق: عبد الرازق المهدي، بيروت دار إحياء التراث العربي 4\389

8 -ينظر: البغوي، الحسين بن مسعود الفراء ت 816 هـ: معالم التنزيل، ، ط 4، المدينة المنورة: دار طيبة، 1997م 2\36

9- البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (صحيح البخاري، الحديث 1034)، (دار الفيحاء،دمشق1999م)0

10-ينظر: عرار، مهدي أسعد: البيان بلا لسان 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2007: ص28، السيد - شفيع: التعبير البلاغي، القاهرة 1977م ص16

11- الرازي: فخر الدين المحصول: ، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1980م. 647/4، وينظر محمد الثاني بن عمر بن موسى: التقييد والإيضاح لقولهم: ((لا مشاحة في الاصطلاح (بحث): ، مجلة الحكمة، المدينة المنورة، السعودية، 1422هـ285

12- البيان والتبيين: الجاحظ ت255هـ، البيان والتبيين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 55/1، والبخلاء، دار صادر، بيروت، : 49/1

13- ينظر: البيان والتبيين: 56/1، صليبه: الدكتور جميل والمعجم الفلسفي: ، بيروت، 1971م 86/1 0

14العسكري، أبو هلال، حسن بن عبد الله: الصناعتين: ا، ط 1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ص25: ،

15-ينظر: وليمز: أسرار لغة الجسد، تر: سوزان دينس، مركز دافنشي،ط1،إبداع للنشر والتوزيع، القاهرة (2008م) ص13،

16السالم، عبد الله عبد الكريم (2001م): "أهمية لغة الجسم في الاتصال مع الآخرين ص11"،مجلة الإدارة، المجلد 3،العددان (3 ،4) -

17 أحمد، محمد الأمين موسى: الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم، ص94، ط 1، الشارقة دار الثقافة والإعلام، 2003 م -

18- حمد غباري والسيد عطية، الاتصال ووسائله بين النظرية والتطبيق- 1999 م-المكتب الجامعي الحديث ص:28

19 - ينظر: العين في الشعر العربيّ: ص5 20

20 - الألوسي، أبو الفضل محمود: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط ج26: ص78 -

21- ينظر: أبو عياش: الاتِّصال الإنساني123، القرني، عوض بن محمد: حتى لا تكون كَلاً، ص126جدة: دار الأندلس، ط5، /1999م

22 ينظر: محمد الطاهر: ، ابن عاشور، التحرير والتنوير (بيروت: مؤسسة التاريخ، ط1، 1420هـ 10\282

23 ينظر: القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ، بيروت: دار الكتاب العربي، 2006م 14\421

24قطب، سيد: في ظلال القرآن " ط 6، دار الشروق، القاهرة، 1987 م 2\962، وينظر: الشعراوي- التفسير، أخبار اليوم قطاع الثقافة 9\ 5416

25 ينظر: الشعراوي، التفسير، 11\6882

26مغنية ،التفسير الكاشف. ج 4 ص:349

27 الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، 7: 517 وينظر: الرازي: التفسير الكبير: 18: 197 ونوفل: سورة يوسف: دراسة تحليلي ص10

28التحرير والتنوير 16\1144

29أبو بكر، جابر بن موسى: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ط 5المدينة المنورة2003 مكتبة العلوم والحكم4\620

30 الشعراوي، التفسير، 256/2

31 الزمخشري، الكشاف: 19\41 ط 2، دار الكتب العلمية، طهران الرازي: التفسير الكبير، 2\382

32 الشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد(977هـ): تفسير السراج المنير، بيروت، دار الكتب العلمية، دط، دت2\149

33 ينظر: الكشاف: الزمخشري،3 / 255، الطبري ابن جرير، (ت 310 هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط 1، دار الفكر، بيروت: 26 \783

34 قطب، سيد، في ظلال القرآن5\2837

35 بين العلم والقرآن. ص 221 الثعالبي، أبو منصور فقه اللغة وسر العربية: ص86، الكون والإنسان:

36شريف، عدنان: من علم النفس القرآني، ط 1. بيروت: دار العلم للملايين 1987 . ص 170

37 ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق: عامر أحمد حيدر، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت1424: 10\144

38 الماوردي، علي بن محمد(ت450هـ، تفسير الماوردي، 6\74 بيروت، دار الكتب العلمية

39 ينظر: الزمخشري-الكشاف4\148، الطبري-جامع البيان29\48

40 ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، 30\472

41ينظر: في ظلال القرآن 6 \ 3972

42 لسان العرب: 132/15(همز)

43 التحرير والتنوير: 537/30، وينظر خميس فزاع عمير، أبنية المبالغة ودلالاتها في القران الكريم: ص241 دار النهضة ،دمشق ط1 2010 .

44 الخليل بن أحمد، العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي 1988 م، 386/4.

45ينظر: الرازي-التفسير الكبير، 31/101، والطبري- جامع البيان30\121

46قطب ،سيد: في ظلال القرآن 3861/ 6

47ينظر: ابن عاشور- التحرير والتنوير: 10\96

48 أبو السعود، محمد العمادي (ت 982 هـ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي 4\113

49ينظر: الزمخشري: الكشاف 2\222ا، نظر: الرازي: التفسير الكبير16 \ 233

50 ينظر: القرطبي: التفسير7\290، و الزمخشري: الكشاف-2\222، وبن عاشور: التحرير والتنوير: 11\68

51ينظر: وليم لامبرت، و(ولاس لامبرت): علم النفس الاجتماعي . ص: 76

52 ينظر: باكو نتالي، لغة الإشارات . ص 42، ترجمة: سمير شيخاني، ط 1دار الجليل، بيروت0

53محمد الأمين موسى: الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم، ص 22

54 عبدالله، عوده: أدب الكلام: 122

55ينظر: الرازي: : التفسير الكبير، 21\109و ابن عاشور: التحرير والتنوير، 15 /72

56 ينظر: الزمخشري- الكشاف: 15\410، الطبري-جامع البيان،15/ 308، الشعراوي-التفسير، 14\8920

57 ينظر: وليم لامبرت علم النفس الاجتماعي ص 178

58ينظر: مهدي عرار، البيان بلا لسان: ص 197

59 ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 3\108

60 قطب، سيد: في ظلال القرآن: 5\2560

61 الزبيدي، تاج العروس، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، دار الهداية، 1976م،\19"144

62 الماوردي: التفسير103 وينظر: قطب، سيد: في ظلال القرآن، 4\ 2051

63 الآلوسي: روح المعاني، 6 \ 145 . القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 18 \ 55 انظر: الرازي: التفسير الكبير: 84/11

64 الزمخشري: الكشاف، 2".322، الجزائري: أيسر التفاسير، 45/5

65 قطب، سيد: في ظلال القرآن، 2\855

66 قطب، سيد: في ظلال القرآن، 2\855

67 القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: 4\280

68 ينظر: الانتصاف بحاشية الكشاف1/ 91

69 الآلوسي، روح المعاني: 1\ 279و التفسير القيم: 130

70 ينظر: مارى كلادابوت ورينيه شوشول: الضوضاء، ترجمة: نادية الجندي وناجي سمير شحاتة، دار المستقبل العربي، القاهرة، ص 27

71 الكشاف: 604/4

72 قطب، سيد: في ظلال القرآن، 6 \3712

73 الآلوسي، روح المعاني . م 16، ج 29، ص 123

74 ينظر: أبو عرقوب- الاتِّصال الإنساني ص 30

75 ينظر: الزبيدي- تاج العروس-16 \576 ابن منظور-اللسان: 6\290

76 ينظر: الماوردي- التفسير 4\359

77 في ظلال القرآن: 2811/5

78 ينظر: الزمخشري- الكشاف: 3\ 243

79 محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن تخريج: أحمد شمس الدين- 1996 م، 307، دار الكتب العلمية-بيروت

80 التفسير الميسر: ص 261

81 الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد(ت 370 ه): تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض، ط 1، بيروت 1\172، دار إحياء التراث العربي0

82 ينظر الرازي: التفسير الكبير: 17 \32، والطبري: جامع البيان 19/ 112

83 ينظر الشعراوي-التفسير: 12\7597 أبو عرقوب- الاتِّصال الإنساني ص 30، سيد قطب- الظلال 4 \ 2111

84- تفسير الجلالين لجلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي. دار ابن كثير المملكة العربية السعودية: ص 287

85 ابن منظور: لسان العرب، 7\238

86 ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 3\58

87 ابن فارس- المقاييس. 5 \218

88 ينظر: البقاعي- نظم الدرر7\610

89 ينظر: الطبري-جامع البيان17\144، الزمخشري-الكشاف 3\69

90 التفسير الميسر. إعداد نخبة من العلماء. بإشراف: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ. ط2 . 1430 هـ . 2009 م: ص 555

91 ابن منظور: لسان العرب، 6\241

92 الكشاف: 125/3

93 القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 11\302

94 ينظر: أبو عرقوب- الاتِّصال الإنساني: ص 33

95 الأصفهاني، الراغب، المفردات تحقيق: صفوان عدنان: دار القلم دمشق، 2002م(سعى) 238 ينظر الثعالبي فقه اللغة وأسرار العربية ص 143

96 ينظر: البقاعي- نظم الدرر- (252 \6)، ابن عاشور- التحرير والتنوير- (22\366

97 الصورة الفنية في المثل القرآني 265

98 درة التنزيل وغرة التأويل 390

99 ينظر: مختار الصحاح (طلق) 396

100 قطب، سيد: في ظلال القرآن4\2514 0ينظر الرازي: التفسير الكبير: 23 / 208:

101 ينظر. الوجوه والنظائر في القرآن الكريم 42والمفردات (مشى): 489

102 الكشاف: 283/3

103 جامع البيان: 19.\37 وينظر: ابن عاشور التحرير والتنوير: 19 / 68ا

104 الكشاف 3/ الوجوه والنظائر في القرآن الكريم 42383

105 ينظر في ظلال القران 330/3، اثر الاستبدال الصوتي في التعبير القرآني، مجلد19 عدد5 ايار 2012ص284

106 ابن منظور: لسان العرب، 2\591

107 ينظر: ابن كثير-التفسير3\46

108 الكشاف: 388/3 وينظر: سيد قطب الظلال: 5 / 2686